الرد على شبهة هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء

كتبه غريب بتاريخ الثلاثاء ٢٢ رمضان ١٤٤٢

نواصل الرد على أشهر شبهات القائلين بالعذر بالجهل, والشبهة التي سنرد عليها في هذه السطور, شبهة طلب الحواريين للمائدة, وهي شبيهة بالتي قبلها, حيث أن الرد يكمن في النص الذي اعتمد عليه في الشبهة

يقول ربنا عز وجل:

﴿ إِذ قالَ الحَوارِيّونَ يا عيسَى ابنَ مَريَمَ هَل يَستَطيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَينا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُؤمِنينَ۝قالوا نُريدُ أَن نَأكُلَ مِنها وَتَطمَئِنَّ قُلوبُنا وَنَعلَمَ أَن قَد صَدَقتَنا وَنَكونَ عَلَيها مِنَ الشّاهِدينَ ﴾

[المائدة: ١١٢-١١٣]

وكعادة الذين في قلوبهم مرض مع الوحي، حيث يزيدهم رجساً إلى رجسهم, هاتين الآيتين كانتا مما اعتمدهما كثير من الناس, لتبرير الكفر الصريح بالله.

حيث اعتبروا أن قول الحواريين

هل يستطيع ربك

شك في قدرة اللّٰه عز وجل, ومن ثم فهم كفروا بالله, وعيسى لم يكفرهم لأنهم معذورون بجهلهم بصفة القدرة المطلقة لله سبحانه.

وهكذا أصبحت هاتين الآيتين دليلا على العذر بالجهل في الدين عند القائلين به.

للأسف الذين حاولوا الرد عليهم, كانوا يتخبطون بين ثلاثة أقوال

أولها وأحسنها أن هذه الآية قرأت ب:

هل تَستطيعُ رَبَّك

بمعنى أنها هل تستطيع أن تدعو ربك، وحملت عليها باقي القراءات، ولكن هذا القول رد عليه بأنه لو كان الأمر كذلك لما عاتبهم عيسى صلى الله عليه وسلم.

الثاني أنها من قبيل الأدب في الطلب، لا من قبيل الشك، كما تقول لصديقك، هل تستطيع الذهاب معي، وأنت تعلم أنه مستطيع

الثالث أنهم كفروا ثم تابوا

والحقيقة أن هذه التأويلات كان من الممكن أن يكون لها حظ من النظر، لو أن الحواريين لم يقولوا غير :

هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء

ولكن الحواريين لم يسكتوا عند هذا القول، بل بيّنوا لماذا يطلبون هذه المائدة، لذلك نحن في غنى عن الظن باليقين، وقد أعرب الحواريون أنفسهم، فقالوا :

﴿ قالوا نُريدُ أَن نَأكُلَ مِنها وَتَطمَئِنَّ قُلوبُنا وَنَعلَمَ أَن قَد صَدَقتَنا وَنَكونَ عَلَيها مِنَ الشّاهِدينَ ﴾

فالحواريون طلبهم ليس عن شك، وإنما يريدون أن يتحول إيمانهم إلى يقين الشهادة، وذلك أمر مشروع، وقد طلبه أبونا إبراهيم صلى الله عليه وسلم:

﴿ وَإِذ قالَ إِبراهيمُ رَبِّ أَرِني كَيفَ تُحيِي المَوتى قالَ أَوَلَم تُؤمِن قالَ بَلى وَلكِن لِيَطمَئِنَّ قَلبي قالَ فَخُذ أَربَعَةً مِنَ الطَّيرِ فَصُرهُنَّ إِلَيكَ ثُمَّ اجعَل عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزءًا ثُمَّ ادعُهُنَّ يَأتينَكَ سَعيًا وَاعلَم أَنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ ﴾

[البقرة: ٢٦٠]

لذلك عيسى صلى الله عليه وسلم أقرهم على طلبهم، وهو لا يقرهم على الكفر معاذ الله، ودعا الله أن ينزل عليهم المائدة:

﴿ قالَ عيسَى ابنُ مَريَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنزِل عَلَينا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكونُ لَنا عيدًا لِأَوَّلِنا وَآخِرِنا وَآيَةً مِنكَ وَارزُقنا وَأَنتَ خَيرُ الرّازِقينَ ﴾

[المائدة: ١١٤]

وقد استجاب الله لدعاءه، كما استجاب لإبراهيم صلى الله عليه وسلم من قبل:

﴿ قالَ اللَّهُ إِنّي مُنَزِّلُها عَلَيكُم فَمَن يَكفُر بَعدُ مِنكُم فَإِنّي أُعَذِّبُهُ عَذابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العالَمينَ ﴾

[المائدة: ١١٥]

وكما ترى ليس في طلب الحواريين كفر أو شك، وإنما هو لطلب اليقين واطمئنان القلب، وهو أمر مشروع على المسلم أن يسعى له، وليس مناقضا للإيمان، ولكن العجيب أن أقوامنا لم يدركوا ذلك.

فذهبوا إلى تأويل طلب الحواريين وكأن الله صرف عيونهم عن تعليل الحواريين لطلبهم، والعياذ بالله مما أصابهم.

إن ما حدث لأقوامنا مع هذه الآيات، لأمر مخيف جدا، وموعظة عجيبة، كيف أن المرء يقرأ الآية :

﴿ إِذ قالَ الحَوارِيّونَ يا عيسَى ابنَ مَريَمَ هَل يَستَطيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَينا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُؤمِنينَ ﴾

[المائدة: ١١٢]

فتسبب له شبهة، ويعميه الله على الآية التي تليها:

﴿ قالوا نُريدُ أَن نَأكُلَ مِنها وَتَطمَئِنَّ قُلوبُنا وَنَعلَمَ أَن قَد صَدَقتَنا وَنَكونَ عَلَيها مِنَ الشّاهِدينَ ﴾

[المائدة: ١١٣]

التي فيها حل هذه الشبهة، وكأن الله يرينا في أقوامنا تحقق قوله:

﴿ وَأَمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزادَتهُم رِجسًا إِلى رِجسِهِم وَماتوا وَهُم كافِرونَ ﴾

[التوبة: ١٢٥]

فالآيات زادتهم رجساً - والرجس هو الاختلاط، ذكره ابن فارس في مقاييس اللغة - إلى رجسهم والعياذ بالله.

أسأل اللّٰه العظيم أن لا يختم على قلوبنا وسمعنا, وأن لا يجعل على أبصارنا غشاوة, فنرى نوره المبين, الذي نستبشره به ونهتدي به كما يهتدي به المتقون, آمين